



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَاهِلِكُمْ مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله تعالى : ﴿ والقرآن ذِي الذِّكْرِ ﴾ أي القرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ ذِي الذِّكْرِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي تذكيرهم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وإسماعيل بن أبي خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي ﴿ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ذِي الشَّرَفِ أَيْ ذِي الشَّانِ وَالْمَكَانَةِ ، وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فَإِنَّهُ كِتَابٌ شَرِيفٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى التَّذْكَيرِ وَالْإِعْذَارِ وَالْإِنذَارِ وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَابِ هَذَا الْقِسْمِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرِّسَالِ فَحَقَّ عِقَابُ ﴾ وَقِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ ذَلِكَ لَحَقَّ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ ﴾ حَكَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ وَهَذَا الثَّانِي فِيهِ بَعْدَ كَبِيرٍ وَضَعْفُهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَقَالَ قَتَادَةُ جَوَابُهُ ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ثُمَّ حَكَى ابْنَ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ جَوَابُهُ ﴿ ص ﴾ بِمَعْنَى صَدَقَ حَقٌّ ﴿ وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ ﴾ وَقِيلَ جَوَابُهُ مَا تَضَمَّنَتْ سِيَاقَ السُّورَةِ بِكَأَلِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ أَيْ إِنْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَذِكْرٌ لِمَنْ يَتَذَكَّرُ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَتَعَبَّرُ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الْكَافِرُونَ لِأَنَّهُمْ ﴿ فِي عِزَّةٍ ﴾ أَيْ اسْتِكْبَارٍ عَنْهُ وَحِمِيَّةٍ ﴿ وَشِقَاقٍ ﴾ أَيْ وَمُخَالَفَةٍ لَهُ وَمَعَانِدَةٍ وَمَفَارِقَةٍ ، ثُمَّ خَوْفُهُمْ مَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ الْمَكْذُوبَةَ قَبْلَهُمْ بِسَبَبِ مَخَالَفَتِهِمْ لِلرِّسَالِ وَتَكْذِيبِهِمُ الْكُتُبَ الْمُنزَلَةَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ أَيْ مِنْ أُمَّةٍ مَكْذُوبَةٍ ﴿ فَنَادُوا ﴾ أَيْ حِينَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ اسْتَغَاثُوا وَجَارُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَجْدٍ عَنْهُمْ شَيْئاً كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَانِهِمْ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ أَيْ يَهْرَبُونَ ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُنزِلْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ التَّمِيمِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ قَالَ لَيْسَ بِحِينَ نَدَاءٍ وَلَا نَزْوٍ وَلَا فِرَارٍ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَيْسَ بِحِينَ مَغَاثٍ وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ بَشْرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَادُوا النَّدَاءَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَأَنْشَدَ :
- تَذَكَّرْ لَيْلٍ لَاتٍ حِينَ تَذَكَّرَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ يَقُولُ نَادُوا بِالتَّوْحِيدِ حِينَ تَوَلَّتْ الدُّنْيَا عَنْهُمْ ، وَاسْتَنَاصُوا لِلتَّوْبَةِ حِينَ تَوَلَّتْ الدُّنْيَا عَنْهُمْ ، وَقَالَ قَتَادَةُ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ أَرَادُوا التَّوْبَةَ فِي غَيْرِ حِينَ النَّدَاءِ ، وَقَالَ مَجَاهِدٌ ﴿ فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ لَيْسَ بِحِينَ فِرَارٍ وَلَا إِجَابَةٍ وَقَدْ رَوَى نَحْوَ هَذَا عَنْ عِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَأَبِي مَالِكٍ وَالضَّحَّاكِ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ وَالْحَسَنَ وَقَتَادَةَ ، وَعَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ ﴿ وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ وَلَا نَدَاءَ فِي غَيْرِ حِينَ النَّدَاءِ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ وَهِيَ لَاتٌ هِيَ لَا الَّتِي لِلنَّفْيِ زِيدَتْ مَعَهَا النَّاءُ كَمَا تَزَادُ فِي ثُمَّ يَقُولُونَ ثَمَّتْ وَرَبِّ يَقُولُونَ رَبَّتْ وَهِيَ مَفْصُولَةٌ وَالْوَقْفُ عَلَيْهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى عَنِ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ فِيهَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِحِينَ وَلَا تُحِينَ مَنَاصٍ وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ ثُمَّ قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِنَصْبِ حِينَ تَقْدِيرِهِ وَلَيْسَ الْحِينَ حِينَ مَنَاصٍ وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَ النَّصْبَ بِهَا ، وَأَنْشَدَ :

تسذكر حب ليلي لات حيننا وأضحى الشيب قد قطع القرينا
ومنهم من جوز الجر بها وأنشد :

طلبوا صلحنا ولات أو ان فاجبنا أن ليس حين بقاء
وأنشد بعضهم أيضاً :

ولات ساعة مندم

بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كٰذِبٌ ﴿١﴾
 أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَّاحِدًا اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٢﴾ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَاۤئِكَةُ مِنْهُمُ اِنْ اَمْسَوْا وَاَصْبَرُوْا عَلٰۤى اِهْتِكَاۤىۡ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرٰدُ ﴿٣﴾
 مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اَخْتِلٰقٌ ﴿٤﴾ اَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنَاۤءِ۟نَا لَمْ يَمَسَّكَ مِنْ ذِكْرِيۡ۟ۤ اِلَّا لَمَّا يَدُوۡا عَذٰبَ
 اَمْرٍ عَدُوۡهُمۡ فَخَرَّوۡنَ رُجْمًا رَجْمًا لِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٥﴾ اَمْرًا لَهُمْ مَّلٰٓئِكَةُ السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيَرْنَآۤىۡ نَقْوٰى الْاَنْسٰبِ ﴿٦﴾
 جُنْدًا مَا هٰنَا لَكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْاَحْرَابِ ﴿٧﴾

ينزل تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً كما قال عز وجل ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرين إن هذا ساحر مبین ﴾ وقال جن وعلا ههنا : ﴿ وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ﴾ أي بشر مثلهم وقال الكافرون ﴿ هذا ساحر كذاب ﴾ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ؟ أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشرته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ وانطلق الملا منهم ﴿ وهم سادتهم وقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم قائلين ﴾ أمشوا ؟ أي استمروا على دينكم ﴿ واصبروا على آهتكم ﴾ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد ، وقوله تعالى : ﴿ إن هذا لشيء يراد ﴾ قال ابن جرير إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه إليه .

[ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمة] قال السدي إن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فليصفنا منه فليكيف عن شتم أهتنا وندعه وإله الذي يعبده فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه ؛ فبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكيف عن شتم أهتنا وندعه وإلهه ، قال فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألك أن تكف عن شتم أهتهم ويدعوك وإهلك قال ﷺ يا عم أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم ، قال وإلام تدعوهم ؟ قال ﷺ ادعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب وتلكون بها العجم ، فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك لتعطينكها وعشرأ أمثالها قال ﷺ تقولون لا إله إلا الله ، فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال ﷺ لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنك وإهلك الذي أمرك بهذا ، وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد ، وراوه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قوله لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الأشياخ ونزلت ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ .

قال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قال حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنها قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : إن ابن أخيك يشتم أهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنيهته فبعثت إليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم أهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال يا عم إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤذي إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرأ فقالوا وما هي ؟ وقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال ﷺ لا إله إلا الله ، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب ﴾ قال ونزلت من هذا الموضع إلى قوله

﴿ بل ما يذوقوا عذاب ﴾ لفظ أبي كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن أبي أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنها فذكر نحوه . وقال الترمذي حسن . وقولهم ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة .

قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدي . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنها ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى ﴿ إن هذا إلا اختلاق ﴾ قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص . وقولهم ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ يعني أنهم يستعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال في الآية الأخرى ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم

قال الله تعالى : ﴿ بل ما يذوقوا عذاب ﴾ أي إنما يقولون هذا لأنهم ماذا أقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبيناً أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختتم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئاً من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير .

ولهذا قال تعالى منكراً عليهم ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ أي العزيز الذي لا يرام جنباه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾ وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول بشري ﷺ وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا ﴿ ألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشر ﴾ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر .

وقوله تعالى : ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقا في الأسباب ﴾ أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب . قال ابن عباس رضي الله عنها ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة .

ثم قال عز وجل : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ أي هؤلاء الجند المكذوبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكتبون كما كتبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلّت عظمتهم : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ كان ذلك يوم بدر ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَانِ ﴿١٠﴾ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَفُ

لَيْكَةَ وَوَلِيكَ الْأَحْرَابِ ﴿١١﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٢﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا نَهَا

مِنْ فَوْاقِ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِطْنَ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٤﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنهات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسوطه في أماكن متعددة وقوله تعالى : ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز

وجل : ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرِّسْلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوْقٍ﴾ قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها مشنوية أي ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرئيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل .
وقوله جل جلاله ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قُلُوبَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ هذا إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فإن القبط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب . قال ابن عباس رضي الله عنها ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألو تعجيل العذاب ، زاد قتادة كما قالوا ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وقيل سألو تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألو تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد وعليه يسور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبي خالد والله أعلم . ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله ﷺ أمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٧٧﴾ وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٦﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿١٧٧﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيدٍ والأيد القوة في العلم والعمل . قال ابن عباس رضي الله عنها والسدي وابن زيد ، الأيدي القوة ، وقرأ ابن زيد ﴿والسما بينناها بأيدٍ وإنما لموسعون﴾ وقال مجاهد الأيدي القوة في الطاعة . وقال قتادة أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفيها في الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وأنه كان أواباً وهو الرجوع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه .
يقوله تعالى : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ أي أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجييعه إذا مر الطير وهو سابح في الهواء فسمعته وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجييه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له . قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنها أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنها قد ظننت أن هذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل : ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاة عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنها كان لا يصلي الضحى فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبرني هذا ما أخبرني فقالت : دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قعدة ثم أمر بثوب فأخذ بيبي وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنها وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وكنت أقول أين صلاة الإشراق وكان بعد يقول صلاة الإشراق ولهذا قال عز وجل : ﴿والطير محسورة﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿كل له أواب﴾ أي مطيع يسبح تبعاً له ، وقال سعيد بن جبير وقاتة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿كل له أواب﴾ أي مطيع .

وقوله تعالى : ﴿وشددنا ملكه﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك ، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفاً مشتملون بالسلاح . وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن الأحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنها أن نفرين من بني

إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقرأ فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعي ، فلما كان النهار طلبها وأمر بقتل المدعي فقال يا نبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال له إن الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فقال والله يانبي الله إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعت عليه وإني لصادق فيما ادعت ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل ، قال : ابن عباس رضي الله عنهما فاشتدت هيئته في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل ﴿وشددنا ملكه﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿وأيتاه الحكمة﴾ قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفطنة ، وقال مرة : الحكمة والعدل ، وقال مرة : الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه ، فقال السدي ﴿الحكمة﴾ النبوة وقوله جل جلاله ﴿وفصل الخطاب﴾ قال شريح القاضي والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو يمين المدعي عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة ، وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد أيضاً هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميري حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أول من قال : أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : أما بعد .

﴿ وَهَلْ أَنْتَكَ نَسْوُاُ الْحَصْمِ إِذْ سُورُواُ الْمِحْرَابِ ﴾ ١٦ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ

حَصْمَانِ بَيْنِي بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ سِيعٌ وَسِعُونَ نَجْمَةً وَبِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١٧﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَيْنَا نَعِيمٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَنَا عِنْدَنَا لَازْفِينَ وَحَسَنَ مَتَابٍ ﴾ ١٥

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه وي زيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً . وقوله تعالى : ﴿ففزع منهم﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنها وقوله عز وجل ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي غلبي يقال عز يعز إذا قهر وغلب . وقوله تعالى : ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ قال علي بن أبي طلحة عن أبي عباس رضي الله عنها أي اخترناه . وقوله تعالى ﴿وخر راكعاً﴾ أي ساجداً ﴿وأنا ب﴾ ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك ، وقد ذكر انه استمر ساجداً أربعين صباحاً ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقد اختلف الأئمة في سجدة ﴿ص﴾ هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر ، والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن علي عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنها أنه قال السجدة في ﴿ص﴾ ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رمول الله ﷻ يسجد فيها . ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال النسائي أيضاً عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها قال : إن النبي ﷺ سجد في ﴿ص﴾ وقال وسجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكراً تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو اسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفني حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجندروذي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنها قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت ، فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع بها عني وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود .

قال ابن عباس رضي الله عنها فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة ، رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال البخاري عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدًا عن سجدة ﴿ص﴾ فقال : سألت ابن عباس رضي الله عنها من أين سجدت فقال أو ما تقرأ ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ ﴿اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ﴿ص﴾ فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء يحضرته انقلب ساجداً قال فقصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها بعد ، تفرد به أحمد ، وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله عن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ص﴾ فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف للناس للسجود فقال ﷺ ﴿انما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشرفتم﴾ فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيحين .

وقوله تعالى : ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنوته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وما لواء» وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ﴿إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر» ورواه الترمذي من حيث الحديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى : ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبت ؟ فيقول الله عز وجل إني أردت عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرع نعيم أهل الجنان .

يَنَادُوا دُؤْدَانًا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتنامى يوم الحساب بالعديد الأكيد والعذاب الشديد . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني إبراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقحت فقلت يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى

جمع له انبوة والخلافة ثم توعدته في كتابه فقال تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ الآية وقال عكرمة ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا إن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشي على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ أَمْ جَعَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُوا الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿١٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبده ويوحده ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ، ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾ أم نجعل المتقين كالفجار﴾ أي لا نفعل ذلك ولا يستون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الإرشاد يدل على العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكرمه فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ أي ذوو العقول وهي الألباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصري والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى أن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ؛ رواه ابن أبي حاتم .

وَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٢١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان أي نبياً كما قال عز وجل ﴿وورث سليمان داود﴾ أي في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر . وقوله تعالى : ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن ؟ قال سكينه الله والإيمان ؟ قال فما أقيح ؟ قال كفر بعد إيمان قال فما أحل ، قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبي .

وقوله تعالى : ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ قال كانت عشرين فرساً ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني إسرائيل عن سعيد بن

مسروق عن إبراهيم التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبهه ، والله أعلم ؛ وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مریم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة ابن غزوة أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب فقال ﷺ « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضي الله عنها بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقايع فقال ﷺ « ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ » قالت رضي الله عنها فرس ، قال رسول الله ﷺ « ما هذا الذي عليه ؟ » قالت رضي الله عنها جناحان قال رسول الله ﷺ « فرس له جناحان ؟ » قالت رضي الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها اجنحة قالت رضي الله عنها فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال قمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائطاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تتراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسابقة والمضايقة حيث لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده ﴿ ردها علي فلفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ قال الحسن البصري : لا ، قال : والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة ، وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقبها بالسيف .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنها جعل يمسح أعراف الخيل وعراقبها جأ لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سبب إذا كان غضباً لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قال أبتنا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيراً منه » .

وَلَقَدْ قَتْنَا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَدِّلُ لِي أَحَدًا مِنْ بَدْدِي إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرَ ﴿٣٧﴾ . وَآخِرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ

﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّنَا حَسَنٌ مَقَابِلَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد قتنا سليمان ﴾ أي اخترناه بأن سلبناه الملك ﴿ والقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنها ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطاناً ﴿ ثم أناب ﴾ أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته . قال ابن جرير ، وكان اسم ذلك الشيطان صخرأ قاله ابن عباس رضي الله عنها وقتادة وقيل أصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضاً وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسطة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطاناً في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردّها في كل سبعة أيام مرة فترح

مائها وجعل فيها خمرًا فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيب الحليم وتزيد الجاهل جهلاً ، قال ثم رجح حتى عطش عطشاً شديداً ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيب الحليم وتزيد الجاهل جهلاً ، قال ثم شربها حتى غلب على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل ، قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى بيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوماً إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف فيها بعض نساءه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقع على كرسيه وسريه وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا يتكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لأجره نبي الله : فقال يا نبي الله وهو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمداً حتى تطلع الشمس أتري عليه بأساً قال : لا فيينا هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ قال هو الشيطان صخر .

وقال السدي ﴿ولقد فتننا سليمان﴾ أي ابتلينا سليمان ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ قال شيطاناً جلس على كرسيه أربعين يوماً قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نساؤه وأمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحداً من الناس غيرها فأعطاها يوماً خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسأها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا خرج وكأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نساؤه فقالوا لهن إنا قد انكرنا هذا فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيطان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فصره بعضي فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي صر به فقالوا بش ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ؛ قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونها فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن أحدهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أهدكم على عذرکم ولا ألومکم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجاء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه وبقل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ .

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى : ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ قال شيطاناً يقال له آصف فقال له سليمان عليه الصلاة والسلام كيف تفتنون الناس ؟ قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه الصلاة والسلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكره قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني ؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ ثم أناب ﴿قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نساؤه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتي خاتمي قالت أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت

كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحداً يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن : أنتكرن من سليمان شيئاً ، قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتاباً فيها سحر وكفر فدفتوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخنثم فطرحه في البحر فتلففته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي في بطنها الخنثم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخنثم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا بالخنثم في جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطاناً مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً فجاءوا فبنوا عليه بيتاً من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يشب في مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تحت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾ يعني الشيطان الذي كان سيطر عليه ، إنساده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل مه تشريقاً وتكريماً لنبية عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

قال يحيى بن أبي عروة الشيباني : وجد سليمان خاتمته بعسقلان فمشى في حرقة إلى بيت المقدس تواضعاً لله عز وجل ، رواه ابن أبي حاتم . وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيباً فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو إسحاق المصري عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو ، فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرضعاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصفاً بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحفر من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شهايرنجها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رؤوس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار الكرسي نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتي صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبي الكرسي كرم من ذهب قد أظلتنا الكرسي وجعل عنقاهما دراً وياقوتاً أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمين من ذهب مجوفان محشوان مسكاً وعنبراً ، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد خلفه والآخر لرئيس أخبار بني إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب عليها سبعون قاضياً من بني إسرائيل وعلماهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحد فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الأيسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيسبط الأسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى المسرعة ، فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجنى فإذا أحست بدورانه دارت تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعاً ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليها الصلاة

والسلام . ثم تناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر النوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جداً « قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب » قال بعضهم لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسية لا أنه يحجر على من بعده من الناس والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتظنوا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام « رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » قال روح فرده خاسئاً وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به . وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن زيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألنك بلعنة الله » ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألنك بلعنة الله التامة فلم يتأخر ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة » .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريح عن أبي أحمد الزبيري به .

وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مختصر فتى من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث أنه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحاً ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإنه من أت بيت المقدس لا ينهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لأحد أن يقول علي ما لم أقل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه - قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال - فإن عاد كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل لذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة ، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياها » وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله ابن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خللاً ثلاثاً » وذكره وقد روي من حديث رافع بن عمير رضي الله عنه بإسناد وسياق غريبين . فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتاً في الأرض فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثاً فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتاً قال ولم يا رب؟ قال لما جرى على يدك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك في هواك ومحبتك؟ قال بلى ولكنهم

عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله اليه لا تحزن فإني سأقضي ببناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم قُرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فلسني أعطتك قال أسألك ثلاث خصال حكماً يصادف حكمك وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنآن فقد أعطيتهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة « وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليهامي حدثنا إياس بن سلمة الأكوعي عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله ﷺ دعا إلا استفتحه « سبحان الله ربي العلي الأعلى الوهاب » وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن سهار قال لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سألني حاجتك قال أسألك أن تجعل لي قلباً يخشاك كما كان قلب أبي وأن تجعل قلبي يجيبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل : أرسلت إلى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشائي وأن أجعل قلبه يجيبني ، لأهين له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

قال الله جلّت عظمته ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ والتي بعدها قال فأعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه هكذا أوردته أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه ، وروي عن بعض السلف أنه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهي كن لسليمان كما كنت لي ، فأوحى الله عز وجل إليه : أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك . وقوله تبارك وتعالى : ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضباً لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر .

وقوله جل وعلا ﴿حيث أصاب﴾ أي حيث أراد من البلاد . وقوله جل جلاله ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾ أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ﴿وأخرين مقرنين في الاصفاد﴾ أي موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى .

وقوله عز وجل ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سأنتنا فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك أي مهياً فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خير بين أن يكون عبداً رسولاً - وهو الذي يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به - وبين أن يكون نبياً ملكاً يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختر المنزلة الأولى لأنها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظمة أيضاً في الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى : ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي في الدنيا والآخرة .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَلَمْ أَكُنْ مِنَ السَّائِلِينَ يُصِيبْ وَعْدَابِي ﴿١٤١﴾ رَكَضَ رِجْلَيْكَ هَذَا مَعْتَسِلًا بِأَرْدُو شَرَابِي ﴿١٤٢﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَاهُ لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٤٣﴾ وَخَذْنَا مِنْكَ صِغَةً فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا

يَعْمُ الْعِبْدَانَهُ أَوَابٌ ﴿١٤٤﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاءه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق في جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة في الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكائها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحاً ومساءً إلا بسبب

خدمة الناس ثم تعود إليه قريباً ، فلما طال المطال ، واشتد الحال ؛ وانتهى القدر ، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال «إني نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثلثي عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وماذا ؟ قال منذ ثلثي عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أي كنت أمر على الرجلين ينتازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنها كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق ، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاستبطأته فالتفت تنظر فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ، فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال فإني أنا هو ، قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض ، هذا لفظ ابن جرير رحمه الله .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «بيننا أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناده ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لا غنى بي عن بركتك» انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾ قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم .

وقوله عز وجل ﴿رحمة منا﴾ أي به على صبره وثباته وإباته وتواضعه واستكانته ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أي لذوي العقول ليعلموا ان عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة . وقوله جلّت عظمته ﴿وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنت﴾ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضفيريها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفاته الله عز وجل أن يأخذ ضعفاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بندره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه ، ولهذا قال جل وعلا ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ أي رجاع منيب ؛ ولهذا قال جل جلاله ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها . وقد أخذوها بمقتضاه والله أعلم بالصواب .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى

الدَّرِيِّ ﴿١٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرُ

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأتبيانه العابدين ﴿واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنها ﴿أولي الأيدي﴾ يقول أولي القوة ﴿والأبصار﴾ يقول الفقه في الدين . وقال مجاهد ﴿أولي

الأيدي ﴿ يعني القوة في طاعة الله تعالى والأبصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوه قوة في العبادة وبصراً في الدين .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للأخرة ليس لهم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للأخرة وعملهم لها . وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها ، وكذا قال عطاء الخراساني . وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناهم بذكرهم لها ، وقال في رواية أخرى ذكرى الدار عقبى الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ؛ وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة .

وقوله تعالى : ﴿إنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ أي لمن المختارين المجتئين الأخيار فهم أختيار مختارون .
وقوله تعالى : ﴿واذكر إسماعيل واليسع وكذا الكفل وكل من الأخيار﴾ قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا .
وقوله عز وجل ﴿هذا ذكر﴾ أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، قال السدي يعني القرآن العظيم .

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤١﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ لَهُمْ أَلا تُورَثُ ﴿٤٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِكُهَيْمٍ كَثِيرٍ وَوَسْرَاءٍ ﴿٤٣﴾

وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَطْرَفِ أَزْرَابٍ ﴿٤٤﴾ هَذَا مَا تُوعدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٤٥﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ ﴿٤٦﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى : ﴿جنت عدن﴾ أي جنت إقامة مفتحة لهم الأبواب والألف واللام ههنا بمعنى الإضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أي إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن أيوب الهباري حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن مسلم يعني ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والبروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حجرة لا يدخله - أو لا يسكنه - إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل» وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة .

وقوله عز وجل ﴿متكئين فيها﴾ قيل متربعين على سرر تحت الحجال ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة﴾ أي مهها طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا ﴿وشراب﴾ أي من أي أنواعه شاءوا أنتهم به الخدام ﴿بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ وعندهم قاصرات الطرف ﴿أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن﴾ ﴿أتراب﴾ أي مساويات في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدي ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار . ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى : ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ﴾ كقوله عز وجل ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾ وكقوله جل وعلا ﴿عطاء غير مجدوذ﴾ وكقوله تعالى ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع وكقوله عز وجل ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ والآيات في هذا كثيرة جداً .

هَذَا آيَاتٌ لِلظَّالِمِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنسُونَ لَهَا هَذَا فَلْيَدْعُوهُ حِمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ وَهَذَا آخِرُ مَنْ شَكَّلَهُ =

أَرْوَاحٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقَدَّمٌ مَعَكُمْ لَأَمْحِجَ بِهِمْ إِيْتَهُمْ صَالُوا النَّارَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتَ لَأَمْحِيكُنَا وَأَنْتَ قَدْ مَتَّمَمْتَهُ لَنَا فَيَنْسَ

لِنَفْسَارٍ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِزْدُهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْ نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ

﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ ذَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل ﴿هَذَا وَإِنِ لِلطَّافِئِينَ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله ﷺ ﴿لَشَرَّ مَأَبٍ﴾ أي لسوء منقلب ومرجع ثم فسره بقوله جل وعلا ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي يدخلونها فتعمرهم من جميع جوانبهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِهَذَا فَلْيَذوقوه حِيمٍ وَغَسَّاقٍ﴾ أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم .

وهذا قال عز وجل ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ أي وأشياء من هذا القبيل : الشيء وضده يعاقبون بها . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دارج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم في غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الله الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به .

وقال كعب الأحبار : غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤق بالأدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كما يجير الرجل ثوبه ، رواه ابن أبي حاتم . وقال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾ ألوان من العذب ، وقال غيره كالزهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله عز وجل ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ آخِتَهَا﴾ يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ أي داخل ﴿مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ﴾ أي لأنهم من أهل جهنم ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي فيقول لهم الداخلون ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي أنتم دعوتونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير ﴿فَبَشِّرْ الْقَرَارَ﴾ أي فبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ كما قال عز وجل ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴿أَي لِكُلِّ مِنْكُمْ عَذَابٌ بِحَسَبِهِ﴾ وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنا نعددهم من الأشرار * اتخذناهم سخرى أم زأغت عنهم الأبصار ؟ ﴿هَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ أَنَّهُمْ يَفْتَقِدُونَ رَجَالًا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ فِي زَعْمِهِمْ قَالُوا مالنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً وهذا ضرب سئل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يستقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ﴿مالنا لا نرى رجالاً كنا نعددهم من الأشرار * اتخذناهم سخرى﴾ أي في الدار الدنيا ﴿أم زأغت عنهم الأبصار ؟﴾ يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم ، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك .

قُلْ إِنَّمَ أَنَا مُنذِرٌ وَمِمَّنْ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٧﴾ أَنْتُمْ

عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٦٩﴾ إِنْ يُرْسَخَ إِلَى الْآلِمَاتِ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٧٠﴾

يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المذيين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ﴿العزیز الغفار﴾ أي غفار مع عظمتة وعزته ﴿قل هو نبيّ عظيم﴾ أي خير عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم ﴿أنتم عنه معرضون﴾ أي غافلون ، قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل ﴿قل هو نبيّ عظيم﴾ يعني القرآن .

وقوله تعالى : ﴿ماكان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هشام حدثنا جهضم اليامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس فخرج ﷺ فتوب بالصلاة فصلى وتجوّز في صلاته فلما سلم قال ﷺ ﴿كما أنتم﴾ ثم أقبل إلينا فقال ﴿إني قمت من الليل فصليت ماقدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بري عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملا الأعلى ، قلت لا أدري يارب - أعادها ثلاثاً - فأرأته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجل لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت في الكفارات . قال وما الكفارات ؟ قلت نقل الأقدام في الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال سل ، قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمي ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفي غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك - وقال رسول الله ﷺ - إنها حق فادرسوها وتعلموها﴾ فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليامي به ، وقال الحسن صحيح وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر ، وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو في قوله تعالى :

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فإذ أسوتهم وثقت فيه﴾

﴿من رُوحى ففعلوا له سجدتين﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾ ﴿٧٩﴾ قال

﴿إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين﴾ ﴿٨٠﴾ قال أنا خير منته خلقني من نار وخلقته من طين

﴿٨١﴾ قال فأخرج منها فإنك رجيم﴾ ﴿٨٢﴾ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ ﴿٨٣﴾ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ ﴿٨٤﴾ قال فإنك من

المنظرين﴾ ﴿٨٥﴾ إلى يوم الوقت المعلوم﴾ ﴿٨٦﴾ قال فيعزيك لأعينهم أجمعين﴾ ﴿٨٧﴾ لإعيادك منهم المخلصين﴾ ﴿٨٨﴾

قال فالحق والحق أقول﴾ ﴿٨٩﴾ لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾ ﴿٩٠﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتنالاً لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً . كان من الجن فخانه طبعه وجلبته أحوج ماكان إليه فاستنكف عن السجود لأدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وادم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه ، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسأه إبليس إعلاماً له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عساه . فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال

﴿فيعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين﴾ كما قال عز وجل ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ لئن أخترتني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً﴾ وهؤلاء هم المستنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾ قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول ، وفي رواية عنه : الحق مني وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبها قال السدي هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وكقوله عز وجل ﴿قال اذهب فممن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً﴾ .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا أَصَابَكَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونه من عرض الحياة الدنيا ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أدتبه لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم ، الله أعلم ؛ فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ أخرجه من حديث الأعمش ، به وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين به من الإنس والجن ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس بن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿للعالمين﴾ قال : الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿لا نذركم به ومن بلغ﴾ وكقوله عز وجل ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي خبره وصدقه ﴿بعد حين﴾ أي عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ؛ ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٢٩ آياتها ٧٥

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبِطْ لَهُ الْخُلَاصَةَ الَّذِينَ آمَنُوا أَلَّا يَكُونَ لِلدِّينِ خُلَاصَةٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ لَوْ رَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣﴾